

مبارك وساط

رجل يتسم للعصافير

(شعر)

-2020-

طبعة ثانية

مراجعة ومنتحة

مبارك وساط

رَجُلٌ يَيْتَسِمُ لِلْعَصَافِيرِ

(شعر)

طبعة ثانية - 2020

مُراجعة ومنقّحة

صدرتُ مجموعة "رجل يبتسم للعصافير"، في طبعة أولى، ورقية،

عن منشورات الجمل (بيروت-بغداد)، سنة 2011.

وهذه طبعة ثانية، إلكترونية، أُكْمِلَ إنجازها في

.2020-9-4

إهداء:

إلى بشر

-|-

أحقنُ عروق الدّرجة بالنّيكوتين

(مثلما سيرة)

جَدّ -1-

في الحديقة المهملّة، تَرْفُو الجَدَّة جواربَ وذكريات. الحفيد يرنو إليها.
أدّا الشَّمس توشك على الغروب. يتذكَّر الطِّفل جدّه الذي جُنَّ على
ظهر ناقة، فتمتلئ عظامه بالرَّمْل وبالْحَداء.

الطِّفل قضى ساعاتِ الصُّباح متأمِّلاً ما تبقى من بيتٍ قديم كان للجَدِّ
الذي شَرع في هَدْمِه ذاتَ فَجْر، عازماً أن يُقيم مكانه خيمة كبيرة من
إسمنت. لكن، بعد أن خرَّب مُعضمه، حلَّت به لعنةُ السَّراب، فمضى لِيتِيَه
في الصَّحراء.

الطِّفل قضى ما بعد الظهيرة حالمًا بأنَّ الجدران التي دُمِّرَتْ والخزانة
التي كانت تُعابثه بتضييق خياشيمها، والأكواريوم والأرائك المحشوّة
بالقطن والبروق وبغمغات الجنّيات،

كلّها ستعود في ذلك اليوم،

بل فكَّر أن الجدّ نفسه قد يَؤوب، تاركاً جنونه وناقته والبيد
التي يبحثُ فيها عن واحاتِ طفولته.

لكنَّ شيئاً من ذلك لم يحدث،

بل هاهي لَكَمَاتُ الرَّعْدِ تتوالى عنيفةً وتُهشم أسنانَ الغسق،

وها الحديقةُ المُهملة قد اكتظت جنباتها

بالخوف

وبالشُّظايا.

هجرة

نمشي ونمشي

نمشي بخطى بيضاء

لا توقظ شجرة

لا تقصّ مضجع بئر

نستريح بعض الوقت

جنب نهر صغير شجاع

لا يُجَنُّ إذ يصيرُ ضحلَ المياه

لا يرمي أحداً منا بحجر

نعرف أنّ قمر هذه الأيام سيكون

من ثلج

فالشّاء قد جاءنا

معصوبَ العينين

ننّجه إلى حيثُ تُقرفص حمامة

في ريح مدينة مهجورة

أو، رُبَّمَا، إِلَى حَيِّ خَلْفِي فِي مَدِينَةِ

نَخْرِ الْيَأْسَ جِدْرَانَهَا

نَمْضِي تَحْتَ سَيُولِ الْمَاءِ

مُخْلِصِينَ لِمَطَرِ

لِهَوَاءِ مُسِينٍ

تَارِكِينَ لِلْعَوَاصِفِ أَنْ تَهَبَّ

مِنَ الْقَفْصِ الصَّدْرِيِّ لِأَمِّ

لِلْبُرْقِ أَنْ يَنْدَاحَ مِنْ عَيْنِي

رَضِيعَهَا

نَغْدُ السَّيْرِ أَحْرَاراً

وَإِذْ يَتَخَفَّى الْقَمَرُ فِي كِبِدِ طَائِرِ

يُدَوِّنُ الْفَلَكيُونَ مِن بَيْنِنَا

مَذَكَّرَاتِ السَّمَاءِ الرَّامِحِ

الَّذِي يَتَدَبَّرُ، دَوْمًا، أَمْرَ

إِنَارَةِ طَرِيقِنَا

عَلَيْنَا، فَحَسَبِ، أَلَا نَزْعُجُ الْأَنْبِيَاءِ

التَّحَافِ الْمُنْسِيَّينَ

فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ الْخَرِيَّةِ

الْمَحْمُولَةِ عَلَى أَنْفِ الْجَبَلِ

أَنْ نُحَازِرَ التَّوَقُّفَ عَلَى مَشَارِفِ الْغَابَةِ

الَّتِي تَحَلَّقُ فِيهَا الْعَصَافِيرُ

عَلَى ظَهْوَرِهَا

دموع القذّاحة

أمسحُ الطّاولَةَ بالإسفنجة-العين

أقول لنفسي: لا تستمرّ

وإلا تساقطتْ أهدابك

وبدا لك النّاس القِصار

أبواباً مُقعّرة

وحبْلُ الغسيل

أنقليساً مديداً، يُعذِّبه

صيّاد مخبول

تبعثُ إليّ جارتِي ضحكةً مُشفّرة

كضحكات الجواسيس

أفكّر: لا شك أنّ عيْنها

تلتمع بدمعة

ومن ثقب في جيبي
تساقط على الفور دموعُ القدّاحة
ونُشازُ التّبغ
أضعتُ أسناني كلّها
في حرب أفيون سرّية
وكثيراً ما تركتُ آلام شفّتيّ
على نهديّ الجارة
كنتُ، أيضاً، أحقنُ عروق الدّراجة
بالنيكوتين
فتنطلق بي على الجسر
الذي يصل رّئتّيّ بالسعال الليلي
هذا التّبغ له طعم البارود
هذه القدّاحة حادّة الطّباع
هذه الجارة تقف الآن تحت شمسٍ
غير حقيقيّة
(إنّها مجرد حبة خردل!)

من كأس التبيذ التي أفرغت

زحفت نعال كثيرة مترنحة

نحو جزيرة صغيرة منسية

في ظفر إبهامي

سأعتمد، في البحث عن اسمها

على غوغل

جارتني مختصة في تربية أظافر

الروبوتات

في السير الطويل على حافة الجرح

ثم السقوط على كتف الصرخة

أنا أشتغل على الكمبيوتر

أعيدُ تكوينَ رنينِ عظام الزواحف

باروكة السيكلوب

والعطسة الأخيرة

لابن الرومي

تهبّ ريحٌ في سلالها المزامير

وتنتشر زرقة الموسيقى

على فوطة

كنتُ كَشَطْتُ بها الطَّفي

عن قدميِّ

أثناء نزهتي، حافياً،

على ضفة نهر

تهبّ ربح، تنتشر زرقة الموسيقى

فيُسمع، من جديد، في أرجاء

الغُرُفة، عَطَّاشُ ابنِ الرُّومي!

وإذ يزقو طائر من دخان

في رنتيِّ

أخرج، بدوري

لأستردّ حذائي!

في المرّة الأخيرة

لم يُسْعِفني الحظُّ

كان دكان الإسكافي مُغلَقاً

أمامه صاحبه الفخمور

يرقص و يغني

ويتقياً المسامير

مُنذ دهر

منذ دهر وصنّارتي في الماء

ولمّ أصطد سوى السّام.

لا أرى غَيْرَ قوسٍ قُرْجٍ ينزل

وبابٍ ذهبية

يُطرّز حواشي الأمواج

ولا أسمع سوى أنفي الذي

يئنّ كمنحلة

كلما أفرغت زقي.

ثمّ خرج نديمي المساء من البحر

وأقبل نحوي

حاملاً طيِّ أجفانه

سَمَكاً كثيراً وفي كفيّه

مَحارٍ طفولتي!

على شاطئ...

نمشي على شاطئ فضاء بالتماعات أرقنا

والأسماك التي لفظها البحر

تركنا فيه أناشيدها الحزينة ومضت

الأسماك التي لفظها البحر

ولجأت إلى الآبار

كثيراً ما تخرج للنزهة ليلاً

ولا نراها

مروحة

إبق في بيتك فلا جديد في الخارج

أتراك تريد أن تخرج لترى المجنون

يتأمل في غيمة - مرآة

نصف وجه الأثير لديه

أو لترمي بحجر

الخُروف الخرف

الذي لا يكف عن الدوران

تحت أعمدة المصابيح

أم أنك تريد أن تلتقط صورة أخيرة

لمروحتك المسكينة

التي تفككت عظامها

بعد أن لفظتها بلا رافة

أيها القاسي

يا حَقَّارَ قُبورِ القناني
هكذا تحدّث إليّ طيفُ أوفيليا
وأنا أمضي نحو البابِ ومنْ بعيدٍ
يصلُّني هديلُ حمائمٍ
من نبيذ!

مقادير مجهولة

مع الفجر جاءت من مغاور بالشاطئ

حسان فشاكسات

وبأنغام النّيات

شرعن في تهيج أشجار

الشارع الكبير

في الصّباح توّزع في جنبات المدينة

أطفال من مرجان

ليحرسوا بارات يؤمها عميان

وخيولهم

بعد الظهيرة كان من بيننا من أغفى

في سينما مياليس فيما كانت

سارة مايلز

في دَوْرِ ابنةِ رايِنُ تتلقَى الشّتائم
مذعورةً

بُعَيْدَ الغروبِ ظهرت أشباحُ

دراجاتنا القديمة

وبدافع الحنين اعترضتْ سُبُلنا

في الليل ربّما تُوجِزُ المدينة

هل حقّاً ستُصبح

في حَجْم قبضة اليد

بعد أن عشنا فيها طويلاً

كمقاديرِ مجهولة

في مُعادلات الرّيح

والليالي

عليّ أن أطمئنّ

ذهبتُ إلى المستشفى لرؤية عامر، صديقي الطيب.

وهناك عرضوا عليّ ميّتاً وجهه كوكب صغير.

قالوا إنّها جُتّة خالي. كيف لي أن أعرف أنّهم لا يكذبون؟ سأعودُ إلى

زوجته!

سألْتُها إن سبق لوجه زوجها أن كان في هيئة كوكب صغير. لكنّها

لم تُجب، فقد كانت تُدرّبُ خيطاً على الاقتراب تلقائياً من إبرة أوقفْتُها

على أنفِها. فقد اشتغلتُ لفترة ما في سيرك!

عدتُ إليها بعد سنة فقالتُ خالك مدفون منذ أعوام طوال، وعلى

خريطة مقبرة الرّحمة هاته، وضعتُ علامة حمراء على قبره.

لكن، إذا كان ميّتاً منذ أعوام، فلمَ لم تُخبريني بذلك قبل الآن؟

لقد كنتُ دائماً إما في بار أو تنتقل من طابور إلى طابور جديد لتقفَ

أمام السّينما أو السّوبرماركت أو حانوت بائع الحلزون... فلم أجد مناسبة

لإخبارك بالأمر.

في الواقع، بدا لي كلامها منطقيّاً.

وعلى أي حال، فحين يموتُ شخصٌ ما، أيكون ثمة فرق حقيقي بين أن يُدفن أو يصبح وجهه في هيئة كوكب صغير؟

بقيت مسألة بسيطة، سأسأل عنها جاري النحيف: كيف ستستطيع الملائكة، في الآخرة، أن تتعرّف على شخصٍ وجهه في هيئة كوكب صغير لتأخذه إلى الجنة.

مسألة الوجوه هاته مُحيّرة. فجاري النحيف، وهو نحويّ، وفقهه، وعالم بخبايا كرة القدم... كان أيضاً مُساعدَ حفّار قبور. وذات ليلة، هاجمته

خلالها مومياء زوجته التي يحتفظ بها أسفل السرير، فماذا فعل؟

نبش قبراً وأخرج منه وجّها. تفرّس فيه طويلاً، فماذا رأى؟

الوجه الذي كان له هو أيامَ مراهقته.

وقتّها، سارع إلى دفن المومياء، وآلى على نفسه ألا يقترب، بعدُ، حيّاً،

من مقبرة...

يا لي من أهبل! لِمَ أتعبُ نفسي بالتّفكير في مثل هذه الأمور، أنا

الذي استيقظتُ يوماً وقد تكاثف جسمي كلّه في كرويّة أعصاب، فبقيتُ

مجهول الهوية (جزئياً فحسب، لأنّي كنتُ، رغم كلّ شيء، أعرف أنّ تلك

الكرويّة هي أنا).

وخرج أفراد الأسرة للبحث عني في البارات والطوابير. وبعد أن
يئسوا، وفيما هم يفكرون في إعلان الدداد، كنت أستعيد، رويداً، حجم
إنسانٍ عصريّ. ورغم أنني عدتُ إليهم في هيئة تقريبيّة (أي أنّها تُذكر
من بعيد بما كنتُ عليه في السابق)، فقد قبلوني وسرّوا...
حقاً، ليس التّعرف على إنسان بالمعضلة الكبيرة. عليّ أن أطمئنّ.
أمامي شجرة، بجذعها علقتُ أرتال من الحلازين، وخلفها طابور.
سأنضمّ إلى المُصطفيين. هذا هو قراري.

من نصائح جدّي ومأثور أقواله

- لا تأبّه لهم إذا
وضعوا عظامك تحت المراقبة
أخف الأجراس في الأعشاش
رُصّ أحلامك في الأقداح
دُشّ الكهرباء في الأحجار
فلن يعثروا ضدّك
على دليل

- لا تخرُج في مُنتصف ليالي الجليد
إذ المقاهي وحدها تجوس الشوارع
والعسس مُغلّقو الأبواب
ولا تبغ حذاءك القديم
أتركه حتّى تعود من سفرك

واسكُنْ فِيهِ

- إِذَا رَأَيْتَ الْجَرَادَ يَغْزُو رِئَاتِ الرَّاقِصَاتِ

وَزَكِمْتَ الْعُرْفَ وَعَزَّ الدَّوَاءَ

إِذَا رَأَيْتَ مَجْنُونًا يَلْفُ صرخته على ساعده

وَأَنْتَى مِنْ طحالب يُضاجعها غريق

فاعلم أنها حربٌ جديدة

تتهدى في الخفاء

- لَا تُسَافِرْ أَبَدًا

إِذَا أَضْرَبَ رَبَابِنَةُ الْبَرْقِ

وَسَرَّعَتِ الْأَرْضُ دَوْرَانَهَا

لِتُدَوِّخَ النَّمْلَ

وَتَمَّ اسْتِنْسَاخُ الرِّيحِ

فهذه كلها

من علائم النّحس

- لا تَبِعِ القناني الفارغة
إذا كان ينبعثُ منها الشُّخِيرُ
وَاتَّبِعْ نصيحةَ أبي حَيَّانِ
فلا تنمُ إلا وقُربَ رأسِكَ حجر
أو حَجْرانِ
وإِيَّاكَ أنْ تتركَ أنفاسَكَ
الاحتياطيَّة
في مُتناولِ غَيْرِكَ

- إذا اقتربتُ منك نملة
ورأيتُ في عينيها صُفرة
وسمعتُ صريرَ مفاصلها
فاعلمْ أنَّها لا محالة هالكة
وإذا رأيتُ الدموع
التي تتهاذى على الأعشاب

قد سارعتُ إلى دخول غيرانها
فاعلم أنها توجّست من خطاك
إيّاك ومشية العسكر

- إذا اندست السجائر في شق
حائط

لا تشق عليها
لا تجعلها تخرج من مخبئها
مرغمة

إمض لتتجوّل بعض الوقت
وإذا مررت جنب جدول ألعاب
فحاذر أن تطأه بقدمك
اعلم أنه تسأل من سجن للشفاه
واسأل عن بيت المهندس الذي
اكتشف آبار نبط

في جُمجمته

إِنَّهُ عَمَّكَ

الذي أنجبته لي امرأة

من الماضي السَّحِيقِ

تعرّفتُ إليها وهي بعدُ

محمّلةٌ بموج الشمال

في سنةٍ زحفتُ فيها الكهوف

على العُدن

وصارتُ، رحمها الله، في آخر

أيامها

تَسْوُجُ، شيئاً فشيئاً، في الثلج

العُتهاطل من ذاكرتها

إلى أن اختفتُ كُليَّةً

- إذا كنتَ في سفر

ووجدتَ نفسك على مشارف غابة

وأظهرتُ لك نبتةً قُرّاص

لسانها

فاعلم أنّ المثلثاتِ قاطعةَ الطريقِ

تكمُنُ للعابرين خلف الأشجار

تأهّب

أُخْرِجْ قَوْسَكَ

إِخْتَرِ الْأَصْلَبَ مِنْ سِهَامِكَ

وَإِذَا خَلَّصْتَ النَّاسَ مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ

رَبِحْتَ بَطَاقَةَ سَفَرٍ إِلَى جَزِيرَةٍ

جَمِيلَةٍ وَشَبِيقَةٍ

تَجِدُهَا فِي اسْتِقْبَالِكَ

عَارِيَةً

جَدًّا

على أقدامهم التي مشَّطت شَعْر الحقول جاؤوا

من كابوس القبيلة

كانوا قد نبشُّوا دموعاً

ليستعملوها في أيَّام الحِداد السَّبعة

كانوا من عشيرةٍ يَشتركُ أبناؤها دَوماً

في نفس الأحلام

في الليلة الفائتة رأوا في المنام

أنَّهم حلَّازين

لم يستغربوا الرُّؤيا

رغم أنَّ الفصل لم يكنُ

شتاءً

من مستودع للأموات

تُحْفَظُ فِيهِ جُثَّتُ إِلَى أَنْ
يَحْضِرَ الْأَهْلَ لِدَفْنِهَا، سَرَقُوا
جُثَّةَ صَدِيقِهِمْ
غَطَّسُوهَا ثَلَاثًا فِي بُحَيْرَةٍ
نَقَلُوهَا فِي عَرَبَةٍ مِنْ شَارِعٍ إِلَى آخِرِ
وَفِي الطَّابِقِ الرَّابِعِ لِلْمَلْهَاءِ
أَجْلَسُوا الصَّدِيقَ عَلَى أَرِيكَةٍ فِي الْبَلْكَونِ
مُؤَلِّينَ وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَسْبُوحِ
الَّذِي يَبْدُو، مِنْ عَلٍ، كَأَنَّهُ غَيْرَ وَاقْعِي
وَفِي الْآنِ نَفْسَهُ، بَيِّنَ الْمَعَالِمِ

عَيْنَا الصَّدِيقِ مُوَجَّهَتَانِ إِلَى أَسْفَلِ
كَأَنَّمَا هُوَ، أَيْضًا، يَتَمَلَّى بِخِضْرَةِ الْمَاءِ
بِعَرَأَى أَجْسَادِ غُضَّةٍ
لِإِنَاثٍ يَحْقُنُّنَّ صُدُورَهُنَّ
بِقَلِيلٍ مِنْ وَهَجِ الْأَصِيلِ

الثلاثة شربوا في صحة الصديق
لم يئنهم عن ذلك علمهم أنه ميت
بل إنهم وضعوا أمامه كأساً
وهو لا يدري كم ساعة مرّت على موته
لكنه يدرك أنّ مجالسيه
نثروا على وجهه أحلاماً بيضاء
كانوا قد اشتروها - للمناسبة -
من سوق ليبيّ

يذكر أنّهم ألبسوه ثياباً
القميص جميل حقاً
لقد نسجته بأسنانها عاقر
كانت قد تبنت كوساةً ونحلتين
قبل أن تتيه في الحقول
مُلوّحة للفراغ

بضفائر تعود إلى أيام

طفولتها

يذكر آخر مرّة دخل فيها بيته

وكيف فوجئ إذ لاحظ أنّ الأبواب

أصبحت من عجيب

وكيف أقلع -أمام عينيه-

القوّدُ بجمراته المشتعلة

ودوم طويلاً في المطبخ الذي

كان، هو، قد زيّن جدرانه

ببلاطات اقتلعها

من قبور

ما كان أحدٌ، بعدُ، ليزورها

لكنه، الآن، لا يستشفّ جنب المسبح

إلا أشكالاً هلامية

فيما جلساؤه يتحدّثون عن خُودِ حِسان

يُدغدغ ظهورهنّ النّسيم

عن قطراتِ ماء خضراء

تلتمع على أرومة نهد

فكيف لِمَيّت أن يُبصر حتّى

وإن كانت ثِقّة عين

تُوشّي جيب قميصه المُطرّز

حتى وإن كان حديثّ عهد بالموت

وكانت العينُ نجلاء

حتى وإن كان في آخر جَلساته

على سَطح الأرض

حتى وإن، بين عينيه، كان يَعْبرُ تابوت

ينوء بحمولته

من الأجراس

كيف لميِّت ألا يتخذ بين جلسائه

هيئةً جبلٍ منفيٍّ في جزيرة

ستجيئه عصفير

من أغصانٍ في جُرح

وبمعاولٍ كانت، لسنين،

ذاتٍ سطوةٍ في المُستنقعات

تُكسر أحجاره وعظامه

في البَرْد أغفى الأصدقاء

ويدا الميِّت موضوعتان

على قوس قزح

انداح، بأناقةٍ، من كأسه

لكن، كيف لميِّت

ألا يضجرَ بين الأحياء

والقرقعةُ على أشدها

في نوم جلسائه
والمساءً قد ظهرتْ حَدَبَتَهُ
وثقة أطفال أطلّوا من باب موارب
ثم فرّوا خائفين

كانوا قد استيقظوا ثم ناموا
ثم استيقظوا، وأخيراً قرروا أنّهم
استمتعوا برفقته
كما لن يتسنّى لأحدٍ أن يفعل
وأنه آن الأوان ليتخلّصوا منه
تحت جناح الظلام

أيدفنونه، إذأً، في حديقة،
أيرمونه في البحر؟
لا، بل يُمدّدونه أمام باب
مستودع الأموات

فالبحت عنه، لا شك، جارٍ

هذا ما اقترح أكبرهم

الذي كان قد هباً له شاهدة قبر

سيتركها تحت رأسه

إن مرّ أحدٌ بقبره، سيقراً على تلك الشاهدة:

- هُنا ينام نومته الأبدية

البخار الذي قضى ليلته الثانية كميت

ساهرًا، يتملى بأشكال سباحات مشيقات

من الطابق الرابع للملهاة

الذي كان، أيضا، شاعراً

وكتب أبياته الأخيرة

في مدح إبرة بقيت، بإخلاص،

ترفو ثيابه إلى أن ابيضت عيناها

الذي غطس في أعماق بحار

ظفر في أحلام سفن

شارك في تشييد مدنٍ

من مرجان واشتغل

بمهنٍ أخرى.

الذي، في طفولته،

أنقذَ أراغناً

كانت، من فرط كآبتها، قد ارتمتُ

في الآبار

الذي لم يحضُر قطُّ

إعدامِ شمعة، وجابَ قُرَى بعيدة

على صهوة حصانٍ من

اللوبياء، ثم مات

غريقاً، بعد أن صارع الرّبو

زمناً، وفي آخرِ

أيامه، طال قذالُه، لعكوفه

زمناً على صنُع سروج

من ثلوج، وأصبحت له غنّة

من ينفثُ الكلمات
عبر أنفه الرّجّاجي،
وشفتان تشتغلان
بالكهرباء

-II-

تربية عاطفية

رَبِّمَا يَكُونُ لِي حِصَانٌ

الفتاة التي أحببتُ وأنا في السادسة عشرة

في البداية، لم تُبادلني عواطفني

حزنتُ ثم نسيْتُها

لم أعدُ أترصّدُها كلَّ أحدٍ أمام بيت أبيها

حيثُ تصنَعُ الكعك

تُدْرُسُ حَيَاةَ الجراد

وتُنصتُ إلى أغاني الحاجّة الحفداويّة

يحلُّ الأحد، فأمضي إلى البار ثم إلى

ملعب كرة القدم

لتشجيع الفريق الذي أناصره

إنّه دينامو البرنُوصي

أو إلى البار ثم رأساً إلى غرفة مريم

التي تبيعُ لي الهوى بالدّين وفي المُقابل

أُطْفِئِ الصُّوءَ قَبْلَ أَنْ أُسْتَلْقِيَ فِي سَرِيرِهَا
وَأَتَخَيَّلُ أَنَّهَا مَارِيَّةٌ، الْفَتَاةُ الَّتِي أَحْبَبْتُ
وَأَنَا فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ
بَعْدَ وَقْتِ سَمْتُ لُعْبَةِ التَّخْيَلِ تِلْكَ
وَأَصْبَحْتُ أَضَاجِعُ مَرِيْمَ
باعتبارها مريم فحسب
التي تروي لي قصّة حبِّ والِدِهَا العسْكَرِي
وَأُمَّهَا الَّتِي قَضَتْ طِفُولَتَهَا فِي الْيُونَانِ
كُلَّ يَوْمٍ أَحَدَ
تَخْرُجُ الْفَتَاةُ الَّتِي أَحْبَبْتُ
وَأَنَا فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ
تَمْضِي لِتُحْيِي الْبَحْرَ، ثُمَّ لِشِرَاءِ
مَجَلَّةٍ مَتَخَصِّصَةٍ فِي وَصْفَاتِ الْكَعْكَ الْجَدِيدَةِ
تَتَمَشَّى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ تَتَلَقَّى
الْتِهْنَةَ مِنْ رَجُلٍ يَجُوبُ الْبِلَادَ بَحْثًا
عَنْ امْرَأَةٍ أَضَاعَهَا فِي مَرْفَأٍ

يقول الرجل إنه يهتئها
بمناسبة حصولها على البكالوريا
لكنني لم أجتز بعد الامتحانات، تقول هي
فيخجل الرجل البدين وينصرف
ويقوم بجولة في رواقٍ بالسوق الأسبوعيِّ
تباع فيه النّيات
بحثاً عن ناي مسحور
يُمكنه أن يعزف لك تلقائياً سيمفونيةً
أو موسيقا أوبرا
لموتسارت لهايدن لمندلزون
أن يُغنّي لك أغنية
للحاجة الحفداويّة
أمّا مارية فتتنصرف لتذرغ أرجاء
جناحٍ من السوق الأسبوعيِّ نفسه
خاصّ بباعة الوجوه القديمة ومُساعدتهم
من الكيميائيين العميان

بحثاً عن وجه شهرزاد ووجه حسناء

من تمبوكتو

ووجه غريتا غاربو

في البداية، لم أكن أعرف أنّها

تستعدُّ للتنكر، كنتُ وقتئها

في الملعب أصفِرُ بأقصى جهدي

ضدَّ الحَكم الذي أعلن عن ركلة جزاء

ضدَّ دينامو البرنوصي

لكنني هذا الصُّباح، غِبَّ ليلة اعتقدتُ أنّي

قضيتُها مع واحدةٍ من أجمل فتيات تمبوكتو

اكتشفتُ أنّ ضجيعتي

لم تكن سوى مارية، الفتاة التي أحببت وأنا

في السادسة عشرة

لقد استعملتُ قناعاً إذنُ

بعد سنة من الآن سنتخاصم

بعد سنة من الآن

ستكثر الدّراجات الناريّة على

الطّريق التي تؤدّي إلى بركة عوّا

بعد سنة من الآن

ستتلوّى هضبة من مَغص شديد

والمداخنُ ستتطوّعُ لتحملُ آلام الولادة

عن الفتيات الحوامل

بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث

سأكون في غابة بعيدة

لن أكون قد أصبحتُ فهداً أو ببغاء

سنباباً أو زرافة أو عظاية

لكنّ ستقيم معي امرأة في كوخ في غابة

أو في كوخ على شفا حوض

تعيش فيه تماسيح

صغيرة مسالمة تستطيعُ حتّى أنْ

تُصافحكُ بأطراف أذنايها

هنالك قرب تمبوكتو

سيكون الطقس حاراً جداً

وربما سيكون لي حصانٌ عظامه

من شرار

حصان هادئ جداً روحه

من مسحوق الذهب

ربما تكون لي دراجة

تستطيع بصير عجلاتها أن تصنع السراب

الذي يجتذبُ عابرين كثيرين

هكذا سيُمكنني أن أستقبل في كوشي

راقصاتٍ شهيراتٍ

مثل الجوكندة

وأبطالاً في القفز العُلوي

مثل حقُّورابي

بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث

فثمة أنفاسٌ باردة تنطلق الآن من عينيّ

وتصبح ضبابية كبيرة تجدها في المساء

قد حاصرت القطارات والأرامل
لذا أسارع بالوقوف وربّما بعد دقيقة
بعد دقيقتين بعد ثلاث
سأغادر هذه الغرفة
في طريقي إلى بار مارسيل سيزدَان، ألتقي
زميلتي في العمل، لا أستطيعُ
تذكّر اسمها، لكنّها
تدعوني لمعرض لوحاتها
الذي تقيمه في عرض البحر، بحثاً
عن التميّز
لا أستطيعُ أن أسبح حتّى هناك، أقول لها
فتُجيب: لقد أصبتُ شَعْرَكَ
برصاصاتي
وفي شارع الإربيانة
أجد أعزّ أصدقائي في انتظاري
نمضي لنشرب معاً إنّه ذو سُلطة

في البحر إله

ينشغل الآن بتوجيه سهام البارانويا إلى

أيائل مُنخَفِيَّة خلف عجلات السيَّارات

فيما أفكّر في مُستقبلي

وما سأفعل وما سيحدّث لي

بعد سنة بعد سنتين

بعد ثلاث

أُمسك بمقود الركبة

ها أنا جنبك في هذه الغرفة

أداعبك وأُمسك بمقود الركبة

أُتيقن من أنوار النّهادين

من حُرشة العانة

أُدير عَجَلَة الرّدف

أعابثك وأقول

أنتِ الآن درّاجتي الأدميّة

تضحكين طويلاً

وتحدثينني عن درّاجة كانت لك

في الطفولة

سينما

خلال تلك الظهيرة، ونحن في طريقنا إلى سينما مياليس، ما إن سُمِعَتْ صفارات الإنذار وطلقات رصاص، ما إن بدأت سيارات إسعاف تنأغي جرحاها، حتى أوشكت أيزومي، اليابانية العجوز، التي كانت تمشي أمامنا، التي كنا نعلم أنّ عظامها مسلات رقيقة، و أنّ لها قدمًا داهية تعرف كيف تخضّر وسط الأعشاب - أوشكت أن تتهاوى كزبا، رغم أن أصوات الصفارات وزعيق السيّارات كانت تتناهى إلينا من فيلم على وشك الانتهاء في سينما مياليس.

ما زال أمامنا وقت قبل أن يبدأ الفيلم الذي سنشاهد.

قبالة السينما، بار مياليس، في مدخله

حرّاس

يتطلعون إلى الدّاخلين

بعيون من كحول.

أصطحبك لنشرب كأساً

10 خطاطيف يحلّقن فوق رأسينا. تسألين كيف تعرّفتُ إليهنّ أوّل

مرّة؟

تعارفنا، ذات صبيحة بعيدة بين شجرتي كافور، كانت الشمسُ تُوجّه
إلينا نظرات مُحتدّة، والطفلة-السّاحرة، بقُرْبِي، تُخرج من سُرّيها كُرّيّات
زجاجية وترمي بها إلي.

فهلْ أحدثُك، أيضاً، عن ذلك الجزء من البَحْر

الذي كنتُ أسبح فيه، بالسّرّ، رغم أنّهم كانوا قد اتّخذوه متحفاً

لعظام الغوّاصين القدامى؟..

والآن، أنّهي كأسك حتى لا يفوتنا الفيلم.

وحين ينتهي العرض ونغادر القاعة، نرى قُدّاننا أيزومي مُجدّداً. لكنّها

في هذه المرّة، تمشي مرحة، خفيفة، متناسية للحظاتِ أخواتها

اللائية تركتهنّ في قرينتها البعيدة، هنالك قرب طوكيو. بل ها هي

قد بدأتُ تغني، بفرنسيّتها المُتكسّرة:

« إذا كنت موسيقياً أيّها الهيكل

العظميّ

فأقم عندي

أقم عندي إلى أن

إلى أن

تكتسي باللحم

إذا كنتَ موسيقياً أيها الهيكل

العظمي

فلا تبق في المقهى

في هذا البرد...»

وها أنتِ تردين معها:

«إذا كنتَ موسيقياً أيها الهيكل

العظمي

أيها الهيكل العظمي...»

ريح قرصانة

في شارع السُّنْجَاب، رجلٌ سُرِقَتْ دَرَّاجَتُهُ يَرِكُضُ وراءَ اللَّصَّةِ التي تُدَوِّسُ
وتدوِّسُ فتمرُّ بمحاذاة عَقَالِ البلديَّةِ الذين يَكْنَسُونَ الرِّصِيفَ وَيَكْشِطُونَ
عنه صفيراً وشيباً كثيراً.

ليسوء الحظ، فذلك الرَّجُلُ هو أنا.

أقول لنفسي إنَّ الفتاة لا شكَّ لطيفة وفقيرة. لو أنَّها طلبتْ مِنِّي
الدَّرَّاجَةَ لَرُبَّمَا كُنْتُ أَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا وَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ فِي الْبَاصِ أَوْ حَتَّى
على القَدمين! فلأنَّس الأمر، إذن!

يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا عَلَى أَنِّي لَا أَعْقُدُ الْأُمُورَ... لَقَدْ مَضَى الزَّمَنُ الَّذِي
كُنْتُ أَهْرَبُ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى قِمَّةِ بَرَجٍ لَا تَسْتَطِيعُ أُمَّي الْارْتِقَاءَ إِلَيْهَا
لِإِقْنَاعِي بِالْعُودَةِ إِلَى الْبَيْتِ أَوْ بَأَنْ أُرْعَى عَصَافِيرَهَا عَلَى التُّلَّةِ. مِنْ تِلْكَ
الْقِمَّةِ، كُنْتُ غَالِبًا مَا أَتَرَقَّبُ الْكُسُوفَ الَّذِي كُنْتُ الْحَدِيثُ عَنْهُ وَقَفْتُهَا،
وَأَحْيَانًا أَشْكَلُ قِصَائِدَ مَنْ دَخَانَ عَيْنِي، حَتَّى إِذَا انْحَنَيْتُ لِأَرَى مَا يَحْدُثُ
فِي الْأَسْفَلِ، أَلْحُظُّهَا هِيَ، مَارِيَّةُ، مُعَلِّمَةُ الْإِسْبِرَانْتُو لَجْرَحِي الْحَبِّ، تَرْفَعُ
رَأْسَهَا نَحْوِي وَتُعَنِّي: « أَيُّهَا الْفَتَى الْمَائِلُ / حَاذِرِ السَّقُوطِ! لَقَدْ

أحببْتُها وأنا في السادسة عشرة. في البداية، أهَمَلْتُني. لكنَّ
قَلْبَها...

وها أنا أمضي تحت رحمة ربح قُرصانة تخطف قُبَّعات العابرين المُتعبين.
لقد قرَّرتُ العودة على القدمين. فكَّرتُ في شُرْبِ بضع كؤوس في بار
مارسيل سيرْدان، لكنْ ليس في جيبِي ولا درهمٌ واحد. أنا إنسان يثق
في مقدرات الخيال. لذا أغمضُ عَيْنَيَّ وأقول: يا فمُّ ابلعُ خمرتك... وما
هي إلا لحظة سريعة كدمعة وجيزة حتَّى شعرت بالانتشاء!..

مارية هي الآن عشيقتي. أسمع قطرات المطر تقرع رأسي وأنا
أمشي. لو بَقِيَتْ لي الدَّرَاجَة... أمضي في سبيلي، وعيني تُنحي
باللائمة على عيني... ثقة رجل يسيرُ أمامي، وكلَّما التفتُّ، يتكسَّرُ في
عُنقه فنجان. يا للَصَّوتِ المُطَّردِ الباعثِ على القلق... لكنَّ كلَّ هذا
سينتهي، فبعد دقائق، سأكون في البيت فأنعى الدَّرَاجَة لمارية، ثمَّ
أمضي إلى النَّافذة لأطلَّ على الأشجار.

طقس رائق

فيما كان الثلج، بأصابع ناعمة، يُغلق جفون السناجب في الغابة القريبة، كانوا على شاشة التلفاز يتبارون في سباق الألف متر. كان ذلك خلال مساء بديع: ثلج خفيف وفراشات صغيرة تنداح من بين نهدي العشيقة مارية التي ستخرج لتشكّ المحاقن في خصر كلّ سهل مريض.

وتباريتُ مع أكبر عدّاء في الغابة. ركضنا باتجاه البحر، ومررنا بمسّين يعتلون أشجارا، فكان رأسي هو السّباق إلى الشّيوخة. هكذا اشتعل شيباً. بَعْدَهَا وجدّني قرب شجرتي الجميلة، التي بدأت تؤدّي، بحسّية صريحة، رقصة فريدة، فيما شكّلت أوراقها أوركسترا سرعان ما بدّدها ألم هبّ رفقة ريح رخيّة. وإذ اقتربتُ منها اندلّع لهيبُ الشّيب في أوراقها، هي التي عرفتها يافعة ومؤخراً أسمىها مارية!

أردتُ أن أتخلّص من بضع دمعات كانت دائما تطلّ من بين أهدابي وتلتمع لتدلّ عليّ الدائنين الذين يترصدونني خلف أعمدة الكهرباء. يا

للدموع المُصَابَة بمرضِ الوشَاية. قُلْتُ أمضي إلى البيت وأجلِبْ أرغن
الرجل الذي يمضي أحياناً إلى التُّلَّة ويرعى عصافير أمّه، لأعزف لحناً
حزيناً. لكنّ قرار منع البكاء في الغابات كان قد عُصِمَ عن طريق
التلفزيونات.

وها إني أراهم على الشّاشة يتسابقون، فيلهثون ويضبحون شيوخاً
يعتلون أشجاراً، وها جرار البرد تتحطّم على رؤوسهم
لقد قررت الكفّ عن الاهتمام بهم، لذا أطفأت التّلفاز وخرجتُ، يتبعني
أرغنٌ قَلِقٌ. كيف لي أن أروّحَ عنه؟.. سأتمشّي حتّى التُّلَّة، حيثُ
تنتظرني عصافير أمي.

داهمني الصّباح

داهمني الصّباح بحفيف أجنحته فخلّطني فُجِدّدا في غابة، لكنّي كُنْتُ
في سريري- فكزّت في إيقاظ العشيقة لإخبارها بما حدث البارحة، ثمّ
أرجأت الأمر... وفي طريقي إلى المحطّة، لاحظتُ كيف يبذر الثلج قلقة
في عيون العابرين.

في الباص المُتوجّه إلى وسط المدينة، قضيتُ بعض الوقت أتعلّى
لوحة مرسومة بتجاعيد من مختلف الحجوم والألوان على قفا الجالس
أمامي. يا للألوان المتناسقة! يا للجسد الأنثوي الباذخ! يا للشبق الذي
يُضجُّ به جسدُ المرأة الممدّدة على جنبها عاريةً على السكّة الحديد!
ومن شعرها، انداحت فراشاتٌ نحو النافذة المفتوحة جنبي. ثمّ ها
أسنان المُستلقية تُعضض شفّتها... ولن أعرف أبداً لم قرّرت الانتحار.
أخرجتُ هاتفني المحمول الصّغير، وهتفتُ لمارية. قُلْتُ لها إنّ مارية
الأخرى، الشجرة، أصيبت البارحة بحروق. قُلْتُ أتمنّى ألا يمرّ أيّ قطار

قبل أن أنزل من الباص. قلت الفراشات تمرّ ملامسةً جيني وعبر
النافذة تغزو المدينة. لكنّ إذا نتجت عن ذلك كوارث فسيتحدّثون عنها

في التلفزيونات!

وسمِعَ صوتُ انكسارِ طُفْرِ، فأخفى الراكبون أيديهم في جيوبهم.
وكلُّ من عنّ له أن يخلع حذاءه ليريح قدميه يجده، بعدها، قد امتلأ
بعرق غزير، بارد، بارد.

لذا، فحين نزلت، كانت قدمي تسبحان في فردتي حذائي.

أمضي نحو مكتبي. في الأعلى، غيمة ميتة ينهش لحمها غراب. ليس
هذا بالفأل الحسن. لكن، ما همّ !

نصر مؤگد

أثناء مرورنا وسط الأشجار، أَرَحْتُ

ستائر عن أعشاش، وابتسفت

للعصافير ، فأبَدْتُ

بَرَمَهَا... مع ذلك

أنا فرحان.

مارية التي لم تنم جيّدا

تُخرجُ من جِردانِها أقلاماً

ثمّ ترسم عيون سيكلوبات

وأنوف مُهَرَّجين

على طرف قميصي!

مع هذا، فأنا

في أتمّ السرور.

كما أنّ ظلي بدأ يثوخ

في طمّي المرأة، ولن
أتمكّن من إخراجها منها قبل
الغروب،

وثمة عجوز بقربي وقفتُ

وبدأتُ ترقص

فاندلق من أكمامها شلال حبر أسود

على حذائي الرّياضي الأبيض!

مع هذا، أنا فرحان فرحان:

ذلك أنّي سأمضي إلى الملعب على الفور

وأنّي واثقٌ من أنّ النّصر سيكون

من نصيب دينامو البرنّويسي

في مباراته ضدّ أخطر فريق للهيكل

العظميّة

في كلّ العصور.

أنا واثق

واثق تماماً من النّصر!

سأعرج على البار

هذه الابتسامة التي رسمتها شفنا العشيقة وهي تتحدّث عن السكين

الهائم على وجهه في ضواحي المدينة

ربّما تكون من باب استحسان طريقي الجديدة التي تُسهّل نُطْقَ

كلماتٍ كانت تستعصي على الألسنة فلا تُلفظ إلا بعد أن تُدعى

الشّفاه

وعلى العموم تكون البسمة نتاج مصادفة محضة من الصّنف الذي

يجعل قطرات النّدى تختلف عن قطرات النّبيذ عن قطرات

الحمّى التي تنضح بها جباهه و أزهار

في بار مارسيل سيردان أسأل جاري المخرج المسرحي أين اختفيت خلال

الأمس الجميل هل كنت

تحت سريرك ذي التّوابض المجدولة من أعصابك

إنّه رجل يحترس من كلّ شيء خاصّة من الذين يجلسون مطّبقين عيناً

وفاتحين أختها خاصة أيضاً من مُدِني النُّشوق

مع هذا حدّثته عن شجرتي مارية التي تعاني من حروق

وأدهشني أنّه لم يَكُنْ حائِناً عَلَيَّ ثمّ طفرت الدّموع من عينيّ عصفورة

حطّت على طاولتنا

إنّها ليست سوى العشيقّة مارية فهذا هو شكلها حين

تمتزج بحفيف أوراق الشّجر ثمّ تأكّدت

من أنّي سأحضر للغداء فعادت من حيثُ أتت وبقيتُ على كرسيّ أرفو

عباءة الوقت بإبر من عظامي

مع هذا فإنّي أجدُ صعوبات في فهم كلّ هذه الصّيغ الرّياضية

التي تلتهم على جبين الصّباح أمّا في المساء فسأرعى عسافير أُمّي

على التلّة

وبعد أن سدّدت الحساب طلبتُ منّي النّادل القصير رقم هاتفني أتوجّه

نحو البيت لا أدري لم أركّز جهدي في الطّريق على محاولة تخيل أنف

شكسبير

ثمّ تذكّرتُ محاولتي الأخيرة للخلاص

من وظيفتي كنتُ سأصيحُ ممثلاً وأرتاح لكنّي

لخطة اقتربت من يوليوس قيصر لأهوي عليه بالسكين
و يقول حتى أنت يا بروتس فأنا كنت ألعب دور
هذا الأخير بقيت واقفاً مشدوهاً ذلك أنني
حين أردت أن أخرج السكين اكتشفت أنني قد أضعته
وأغمي على المخرج فلذت
بالفرار ولم ألتقه مجدداً إلا قبل
ساعات في بار مارسيل سيردان
أمضي في طريقي أرى عمود ضوء
مُحاطاً بأناشيد الضباب أحيي دولوريس الجارة الإسبانية
اللطيفة التي تُطلّ
من الطابق الثاني فتكشف
لي عن وجوها الخفية التي من بينها وجه غابة
ثم دخلت إلى
البيت جاءت مارية بالغداء وكنت أنتظر
أن تشرع في الحديث عن السكين و في الابتسام لكن
ها هو الهاتف يرن

آلو نعم

أنا النّادلُ القصيرُ يُجيبني الصّوت

عَرَفْتُكَ من لثغتك هل من خدمة

أريد أن تكتب لي رسالة بالإسبانية إلى حبيبتي برناردا سمعتك

مرّات تتحدّثُ إلى السيّدة دولوريس بهذه اللغة

أقول مُقاطعا يمكنك أن تعتمد عليّ سأعزّج على البار هذا

المساء في طريق عودتي من التّلة رفقة العصافير

قرب السناجب

العشيقة غائبة منذ أيام
الغرفة نائمة منذ ساعات
مُطوّقةً بسياج من ألعاب جدرانها
وأنت أمام الباب ولا تَدْخُل
وكُنتِ وقفتِ أمام باب المسرح طويلاً
ولم تدخل ثم جاءك الخبر
بأنَّ الممثل القصير الذي كنت تنوي
أنْ تُجْرِيَّ معه حواراً لصحيفتك
اختفى مِنْ عَلَى الخشبة بعد أن
تهشمت أوفيليا
وتناثرت قطع زجاج
قالوا إِنَّ لِلْمُثَلِّ الْقَصِيرِ أَنْفًا
من الهمهمات

قالوا إذا أغميَ ثانية على الشَّفَقِ
سيظهر من جديد
الموتى ساكنو القناني
ويهطل المطر
وتبرز تجاعيدُ الحزون الهرم
ليس لازماً أن تكون هاملت
لئُشفَقَ على أوفيليا
ولا داعيَ لأنْ تركَلَ الباب بعنف
من أجل أن توقظَ الغرفة
وإن جاءتك من الداخل أصواتُ
ارتطام الروبوبات
فمعلوم أنها تنبثق
من رواية الخيال العلمي
المفتوحة على المنضدة
قُرب قَطرةِ الحبرِ المَهيبَةِ
وأجراسِ النَّحو التي ترنُّ

على رأس كلِّ ساعة
لا تنس أن تكتبَ إلى الغائبة
ياه! إنك تتطلَّع إلى الأشجار
ياه! كم السَّهر طويلٌ على الأغصان
وفي مدفن الألوان النَّافقة
ياه! في الأعالي غيومٌ من السُّلوفان
تخشخش في الريح الباردة
لا داعيَ لأن تترك الباب
يحدث أن تنام الغُرف
أن يتناثر أحدهم شظايا
أن تفرَّ امرأةٌ من تعاسة رجل
ومع ذلك تستمرُّ الأرض في تلميع شعرها
إفْضِ بروح المتشرِّد التي تتقمَّصك
واقْضِ الليل في واحدٍ من جراح الغابة
قرب السَّنَاجب الهاربة
من الغَيْتُوتِ

رسالة

لا تقلقي فأنا لستُ تعيساً قضيتُ ليلتي الماضية في كنف الغابة
حواليّ فضاءٍ مدهشٍ تتماوج فيه أنفاسُ السَّناجب وقبل لحظة
أمكنني أخيراً الدّخولَ إلى الغرفة أتطلّعُ من النّافذة فأرى الفجرَ كما
عرفناه يتقدّم على قدميه القديمتين يتصفّحُ فسوِّدة اليوم القادم
يُدخل بعض التّعديلات ربّما على كميّة الأمطار المُتوقّعة في الظّهيرة
هذا أمرٌ مستعجَل فقبل أيام سُوهِد النّوتية وهم يُهدّدون القطرة
التي أفاضت النّهر

لا تقلقي فالكلمات التي تحيا في رثيّ آمنة كُليّة والدموع النّائمة
على كتف الجدار قبالتني تفوح منها رائحة الدّموع مِذوْدُ الدّراجة أيضا
مملوء وخالي الذي كان سيُعْدم لكثرة حروف العِلّة في اسمه عَفوا
عنه في آخر لحظة وكان منزعباً من عطل طالَ أنفه لكنّ حاله تحسّنت
بعد أن قُرعتُ في كتفيه دفوف العافية

ساعاتُ هذا الصّباح متساوية الطّول لم تسقط ولا ريشة بين فكّي

الجمرة المتربّصة ببُغاثِ الطّير

كلّ هذا وأنا أفتقدك بالأمس مضيّت نحو مكتب البريد في طريقي
قابلتُ الرّجل-المسّمار سرّني كثيرا أنّه لم يصدأ كما ادّعى بعضهم
ورأيتُ الباعة المتجوّلين مصطفين في طابور طويل يحدّجون السّحب
بنظراتٍ رهيبة

حين وصلتُ كان السّعاة يوزّعون التلّغرامات بالتّساوي على فقراء
المدينة واحدٌ منهم هَمَسَ في أذني إبتسّم العالمُ جميل وكلُّ شيء
سيمفونية تاسعة وأراد أن يعطيني تلغراما لكنّ يديّ كانتا متشابكتين
خلف ظهري فيا لساعي البريد الطّيب

كلّ هذا وأنا أفتقدك ودميتك اللعوب لم تُعدّ تحشُرُ حَطَمَها في
سُرّتها كما أنّي أعتني كثيرا بالألوان الخمسة التي هي أطفال اللوحة
المعلّقة في غرفتنا وحتّى أثناء النّوم أحتفظ تحت القناع بابتسامتي
لا تقلقي أنتظرك في هذه الغرفة المُعتمرة طاقيةً من حَبَب

احتفال

كنتُ قد دعوتُ الميكانيكي الذي هو علاوة على كونه صديقي شاعرٌ
كتبَ العديد من القصائد في مدح العجلات والجاذبيّة إلى العشاء
فالיום تحلّ من جديد ذكرى القبلّة الأولى التي تبادلتُها مع مارية لذا
أنتظره الآن أمام بابي

وقفتُ إذن أمام الباب ومارية في الدّاخل قد انتهتُ من تهيين العشاء
كم هي مُتعبّة فقد قضينا المساء في السّير في حال من العنفوان لا
تعرف الفتور وبعدها مضتُ لتنسج للعُشبِ أحلاماً مُكتطّة بحشراتٍ من
حرير

وفيما أنا أنتظر أمام الباب رنّ هاتفي المحمول الصّغير في جيبِي
آلو نعم

مساء الخير لا تنتظرني لن أستطيع المجيء فسائقو الباصات قد أضربوا
منذ بضع ساعات

إنّه صديقي الميكانيكي الذي لن يمكنه الوصول إلى بيتي وهكذا لن
يحضر الحفل الصّغير بالإضافة إلينا نحن الاثنين سوى أخت مارية وصديق

الأخت التي قدّمته لي قبل شهور

قد تقولون اذُع الودودة دولوريس لكنّ هذا غير ممكن

أنا أمام الباب أشعل سيجارة وبعد لحظة وجيزة كنملة رضية تنتشر

في الجوّ آلامُ أسنان وثقّة مصباح صبور أمام دكّان التبغ المقابل لبيتي

يدوّن بالأشعة أحلام المدينة

لا يمكنني أن أدعو دولوريس إذ سيكون عليّ إن فعلت أن أحتمل أيضاً

حضور زوجها جلول العسكري المتقاعد الخريف الذي خدم في جيش

فرنكو وهذا ما لا أستطيعه لكوني طبعاً أكره فرنكو

إلا أنّي أكاد أجنّ من الضحك حين أرى جلول في الفجر يقوم بتمارينه

لابساً بزة جنديّ الجيش الإسباني القديم يمشي بخطى واثقة موقّعة

مردّداً أوّنو دُوّص أوّنو دُوّص أوّنو دُوّص

ثمّ يختفي عن ناظرَيّ بعد أن تكون قد فتّنته مطارقُ الرّيح

أدخل إلى الغرفة حيثُ ينتظرونني متفكّراً في أمر الباصات وكيف أنّها

حوصرت مرّة من طرف قبيلة مُدجّجة بالجراب كان أحدُ أفرادها قد مات

مدهوساً من قبل باص وفي مرّة أخرى حاصرتها المومياءاتُ مُفترسةً

الحديد

في هذه المرّة الأخيرة ركضتُ مبتعداً عن المحطة وحين توقّفتُ كانت
سريّةً من أنفاسي قد انسحبتُ مدحورة إلى كهف بعيد

أدخل ونبادلُ الابتسامات نقضي وقتنا مصيخين للموسيقى ثمّ
لتساقط نثار الفضة من الأكتاف وبشكل خاصّ نُطري أختَ مارية البارعة
حقاً في الرّقص ثمّ أقترح أن نسمع أغنية لكلود نُوغارو الشّاعر ابن
تولوز

بعدها تناهى إلى أذنيّ من جارورٍ صفيّرٍ قواقع كما يحدثُ دائماً حين
أكثرُ من الويسكي ثمّ أطللنا جميعاً من النّافذة على الحديقة التي
ستقضي فيها الليل سرورة متسكّعة لا يعلمُ أحد

إلى أين سنُطوّح بها العصافير

عند بزوغ الفجر

فهرس

ا. أحقنُ عروق الدّرجة بالنّيكوتين

(مثلما سيرة)

جّد -1-

هجرة

دموع القداحة

منذ دهر

مروحة

مقادير مجهولة

على شاطئ...-

عليّ أن أطمئنّ

من نصائح جدّي ومأثور أقواله

جدّ -2-

اا. تربية عاطفية

رّبّما يكون لي حِصان

أُمسك بمقود الركبة

ريح قرصانة

سينما

طقس رائق

داهمني الصّباح

نصر مؤكّد

سأعزّج على البار

قرب السناجب

رسالة

احتفال

مبارك وساط

- شاعر مغربي. من مواليد 1955

- مجموعات الشعريّة:

- على دَرَج المياه العميقة

(طبعة أولى: دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990 - طبعة ثانية:

منشورات عكاظ، 2001 - طبعة ثالثة، إلكترونية، 2020).

- محفوظاً بأرخبيلات...

(منشورات عكاظ، الرّباط، 2001).

- راية الهواء

(منشورات عكاظ، الرّباط، 2001).

(وقد صدر: - محفوظاً بأرخبيلات، يليه: راية الهواء - في طبعة

إلكترونية سنة 2020)

- فراشة من هيدروجين

(طبعة أولى: دار النهضة العربيّة، بيروت، 2008 - طبعة ثانية-

إلكترونية- 2020).

- رجل يتسم للعصافير

(طبعة أولى: منشورات الجمل، بيروت، 2010 - طبعة ثانية،

إلكترونية، 2020)

-مختارات بالفرنسيّة والعربيّة، بعنوان:

Un éclair dans une forêt

(منشورات المنار، باريس، 2010)

-عيون طالما سافرت

(طبعة أولى: منشورات بيت الشعر بالمغرب، 2017)

- تُرجم إلى العربية نصوصاً شعريّة ونثرية عديدة، ومن

ترجماته الصادرة في كتب: شذرات من سفر تكوين منسيّ، لعبد

اللطف اللعبي (منشورات الموجة، الرباط، 2004)، نادجا لأندري

بريتون (منشورات الجمل، بيروت، 2010)، التحوّل، لفرانتس

كافكا (منشورات الجمل، 2012)، الأبدية تبحث عن ساعة يد

لأندري بريتون - مختارات شعرية، عنوانها من اختيار المترجم-

(منشورات الجمل، 2018).

كما صدرت لمبارك وساط، في طبعين إلكترونيين،

مختارات من مجموعاته الشعرية:

- أستقبل راقصات شهيرات مثل الجوكندة

- أنطولوجيا شخصية

وكلّ الطبقات الإلكترونية للمجموعات الشعرية وللمختارات

متوافرة بمواقع على الانترنت

منذ دهر وصنَّارتي في الماء
ولمَّ أصطدُ سوى السَّام.

لا أرى غَيْرَ قوسٍ قُزحٍ ينزل
ويأبر ذهبية

يُطرزُ حواشي الأمواج

ولا أسمعُ سوى أنفي الذي يئنُّ كمنحلة
كلما أفرغتُ زفي.

ثمَّ خرج نديمي المساء من البحر
وأقبلَ نحوي

حاملاً طيَّ أجفانه

سمَّكاً كثيراً وفي كفيهِ
مَحارُ طفولتي!

رَجُلٌ يبتسم للعصافير

طبعة ثانية -2020-

مراجعة ومنقحة